Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مقاطع ذات نظام خاص ، هو الذى يسمى بالوزن(١) . ولهذا وجب أن تكون تلك القافية المترددة أعذب مافى البيت ، فإن كان البيت وحدة موسيقية فإن القافية خاتمة هذه الوحدة ، وهى التى يتم بها الإحساس باللذة الفنية . ولعل هذا هو السبب الذى جعل علماء العربية ونقاد الشعر ، يعدون البيت من القصيدة وحدة الشعر ، كأنه يراد من البيت الواحد أن يحقق وحدة متعة فنية ، بوزنه ومعناه ولفظه وقافيته من غير حاجة إلى تاليه .. وتتوالى بعد ذلك المتعة بتوالى القوافى ، فتتأكد اللذة الفنية التى بدأتها القافية فى البيت الأول ، وبقدر تمكن الشاعر من فنه ، وحذقه لصناعته تكون إجادته فى القافية .

وليست القافية خصيصة من خصائص الشعر العربى وحده ، بل هى ظاهرة فى أكثر الشعر الإنسانى . ومن مسوغات القافية فيما يبدو – كما يقول أحد فلاسفة الجمال – أنها إلى جانب ماتضيفه إلى الموسيقى ، وإلى جانب توزيعها لأجزاء القصيدة ، توجد رابطة صناعية بين العبارات التى تتخللها . وبدون القافية تتشتت هذه العبارات وتتباعد بسرعة ، دون أن تحقق أية رابطة بينها وفى شكل شعرى مثل « السونيته »(٢) نجد أن التوافق الصوتى يفرض وحدة حقيقية على الفكر . فالسونيتة التى لايوزع فيها الفكر توزيعاً مناسباً على الأجزاء التى تتكون منها القصيدة لامسوغ لها ، وكان الأحرى بكاتبها أن يستخدم شكلا آخر . إن السونيتة أكثر الأشكال الشعرية الحديثة كلاسيكية ، وذلك بفضل مافى أجزائها من تداخل أو ترابط ، (القافية) التى يزيد استخدامها فى السونيتة عن أى شكل شعرى آخر . إنها أكثر كلاسيكية فى روحها من الشعر المرسل « غير المقفى » **blank Verse** الذى تكاد تعوزه تماما القدرة على توحيد العبارة ، وعلى جعل ماهو غير متوقع يبدو أمراً حتمياً .

ولا يصل المحدثون إلى هذا الجمال الذى أوتيه القدامى عن طريق تراكيب لغتهم إلا من خلال تنسيقهم للقوافى . وربما لم تكن القافية أحسن بديل ، إلا أنها أفضل من انعدام الشكل كلية(٣) .

---

(١) موسيقى الشعر – للدكتور أبراهيم أنيس ٢٤٤ .

(٢) السونيتة «Sonnet» قصيدة غزلية تتألف من ١٤ بيتاً .

(٣) جورج سانتيانا (الإحساس بالجمال) ١٩٤ .